



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
الدراسات الأولية
للعام الدراسي ٢٠٢٥ - ٢٠٢٦

محاضرات السيرة النبوية

عنوان المحاضرة
هجرة النبي

من كتاب
(فقه السيرة النبوية)

المرحلة الثانية

مدرس المادة
أ.م.د. وسمي محمد احمد

هجرة الرسول ﷺ

جاء في صحاح السنة وما رواه علماء السيرة أن أبا بكر رضي الله عنه لما وجد المسلمين قد تتابعوا مهاجرين إلى المدينة ، جاء يستأذن رسول الله ﷺ هو الآخر في الهجرة . فقال له رسول الله ﷺ : « على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن لي » فقال أبو بكر : « وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ » قال : « نعم » . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ، وأخذ يتعهدهما بالرعاية أربعة أشهر (٥٢) .

وفي هذه الأثناء رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وخافوا أن يكون قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة (وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها) يتشاورون فيما يصنعون بأمر رسول الله ﷺ ، فاجتمع رأيهم أخيراً على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلدأ ، ثم يعطى كل منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، كي لا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعاً ، وضربوا لذلك ميعاد يوم معلوم فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ يأمره بالهجرة ، وينهاه أن ينام في مضجعه تلك الليلة (٥٣) .

(٥٢) البخاري : ٤/٢٥٥

(٥٣) سيرة ابن هشام : ١/١٥٥ وطبقات ابن سعد : ٢١٢

قالت عائشة فيما يروي البخاري : « فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حرّ الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : « هذا رسول الله ﷺ متقنعاً ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها » . فقال أبو بكر : « فداً له أبي وأمي . والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر » ، قالت : فجاء رسول الله ﷺ ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر : « أخرج من عندك » ، فقال أبو بكر : « إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله » . قال : « فإني قد أذن لي في الخروج » ، فقال أبو بكر : « فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحتي » ، قال رسول الله ﷺ : « بالثمن » .

قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق (٥٤) .

وانطلق رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته

وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما في بياض النهار ، ثم يأتيا إذا أمسى بما يكون معه من الأخبار . وأمر عامر بن فهيرة (مولاة) أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما إذا أمسى ، إلى الغار (غار ثور) ليطعما من ألبانها ، وأمر أسماء بنته أن تأتياهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء .

(٥٤) في طبقات ابن سعد : أنها شقت نطاقها فأوكأت بقطعة منه الجراب ، وشدت في الجراب بالباقي فسميت ذات النطاقين

وروى ابن إسحاق والإمام أحمد ، كلاهما عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : « لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر ، احتمل أبو بكر ماله كله معه : خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، قالت : وانطلق بها معه » .

قالت : « فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً ، قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه قال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكت الشيخ بذلك » (٥٥).

ولما كانت عتمة تلك الليلة التي هاجر فيها النبي ﷺ اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يتربصون به ليقتلوه ، ولكنه عليه الصلاة والسلام خرج من بينهم وقد ألقى الله عليهم سنة من النوم بعد أن ترك علياً رضي الله عنه في مكانه نائماً على فراشه ، وطمأنه بأنه لن يصل إليه أي مكروه.

(٥٥) سيرة ابن هشام : ٤٨٨/١ وترتيب مسند الإمام أحمد : ٢٨٢/٢٠

وانطلق رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور ليقوما فيه ، وكان ذلك على الراجح في اليوم الثاني من ربيع الأول الموافق ٢٠ أيلول سنة (٦٢٢ م) بعد أن مضى ثلاث عشرة سنة من البعثة ، فدخل أبو بكر قبل الرسول ﷺ فلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، بقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فأقاما فيه ثلاثة أيام ، وكان بييت عندهما عبد الله بن أبي بكر يخبرهما بأخبار مكة ، ثم يُدَلج من عندهما فيصبح مع قريش بمكة

كبائت بها ، وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من الغنم ، فإذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر أثره بالغنم كي لا يظهر لقدميه أثر .

أما المشركون فقد انطلقوا - بعد أن علموا بخروج النبي ﷺ - ينتشرون في طريق المدينة ويفتشون عنه في كل المظان ، حتى وصلوا إلى غار ثور ، وسمع الرسول وصاحبه أقدام المشركين تحفك من حولهم فأخذ الروع أبا بكر وهمس يحدث النبي ﷺ : « لو نظر أحدهم تحت قدمه لرأنا » . فأجابه عليه الصلاة والسلام : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ » (٥٦).

فأعمى الله أبصار المشركين حتى لم يكن لأحد منهم التفاتة إلى ذلك الغار ، ولم يخطر ببال واحد منهم أن يتساءل عما يكون بداخله ..

ولما انقطع الطلب عنهما خرجا ، بعد أن جاءهما عبد الله بن أرقط (وهو من المشركين ، كانا قد استأجراه ليدلهما على الطرق الخفية إلى المدينة بعد أن اطمأنا إليه ، وواعدها مع الراجلتين عند الغار) فسارا متبعين طريق الساحل بإرشاد من عبد الله بن أرقط .

وكان قد جعل مشركو مكة لكل من أتى برسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه دية كل منهما.

وذاث يوم ، بينما كان جماعة من بني مدلج في مجلس لهم ، وبينهم سراقه بن جعشم ، إذ أقبل إليهم رجل منهم فقال : إني قد رأيت أنفأ أسودة بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه . فعرف سراقه أنهم هم ، ولكنه أراد أن يثني عزم غيره عن الطلب ، فقال له : إنك قد رأيت فلاناً وفلاناً ، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم . ثم لبث في المجلس ساعة ، وقام فركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول فعثرت به فرسه فخر عنها ، ثم ركبها ثانية وسار حتى صار يسمع قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، فساخت قائمتا فرس سراقه في الأرض حتى بلغت الركبتين ، فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت ، فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ارتفع في السماء مثل الدخان ، فعلم سراقه أنه ممنوع عن رسول الله ﷺ ، وداخله رعب عظيم ، فناداهما بالأمان .

فوقف عليه الصلاة والسلام ومن معه حتى وصل إليهم ، فاعتذر إليه وسأله أن يستغفر له ، ثم عرض عليهما الزاد والمتاع ، فقالا له : لا حاجة لنا ، ولكن عمنا الخبر ، فقال : كفيتم (٥٧) .

ثم عاد سراقه أدراجه إلى مكة وهو يصرف أنظار الناس عن الرسول ومن معه بما يراه من القول ... وهكذا انطلق إليهما في الصباح جاهداً في قتلتهما ، وعاد في المساء يجرسهما ويصرف الناس عنهما .

قدوم قباء

ووصل رسول الله ﷺ قباء ، فاستقبله من فيها وأقام فيها بضعة أيام نازلاً على كلثوم بن هدم ، حيث أدركه فيها علي رضي الله عنه بعد أن أدى عنه الودائع إلى أصحابها . وأسس النبي ﷺ هناك مسجد قباء ، وهو المسجد الذي وصفه الله بقوله : ﴿المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ..﴾ الآية [التوبة/٩/١٠٨] .

ثم واصل سيره إلى المدينة فدخلها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على ما ذكره المسعودي^(٥٨) فالتفت من حوله الأنصار ، كل يمسك زمام راحلته يرجو النزول عنده فكان ﷺ يقول لهم : « دعوها فإنها مأمورة » ، فلم تزل راحلته تسير في فجاج المدينة وسككها حتى وصلت إلى مريد^(٥٩) لغلّامين يتيمين من بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «ههنا المنزل إن شاء الله » . وجاء أبو أيوب فاحتمل الرجل إلى بيته ، وخرجت ولائد من بني النجار - فيما يرويه ابن هشام - فرحات بمقدم النبي ﷺ ، وجواره لهن ، وهن ينشدن :

(٥٨) مروج الذهب : ٢/٢٧٩ ، ط بيروت .

(٥٩) أرض يجفف فيها التمر .